الفصل الأول

الوجود اليافعي في حضرموت

المبحث الأول: قبيلة يافع وموطنها وأهم مدنها وقراها:

- أولاً: قبيلة يافع.
- ثانياً: موطن قبيلة يافع .
- ثالثاً: أهم المدن والقرى اليافعية.

المبحث الثاني: الوجود اليافعي في حضرموت:

- أولاً: أسباب القدوم اليافعي إلى حضرموت .
- ثانياً: بداية الوجود اليافعي في حضرموت .
- ثالثاً: الأفخاذ اليافعية التي استقرت في حضرموت.

المبحث الثالث: الصراع الإمامي - اليافعي على حضرموت وسيطرة الأفخاذ اليافعية عليها:

- أولاً: سيطرة الدولة القاسمية الزيدية على حضرموت .
- ثانياً: الصراع القاسمي اليافعي وأثره على حضرموت .
- ثالثاً: ازدياد النفوذ اليافعي في حضرموت وأثره عليها.
- رابعاً: تصدي السلطان عمر بن جعفر الكثيري وابنه لازدياد النفوذ اليافعي في حضرموت.
- خامساً: سيطرة الأفخاذ اليافعية على حضرموت.

المبحث الأول

قبيلة يافع وموطنها وأهم مدنها وقراها

أولاً: قبيلة يافع:

يرجع بعض المؤرخين من أمثال الناخبي وحمزة لقمان وابن عبيدالله السقاف نسب قبيلة يافع إلى إحدى القبائل السبئية التي تفرقت عقب انهيار سد مأرب[١] في عام ٤٥٠ - ٤٥١م تقريباً[٢] حيث استوطنت قبيلة يافع المنطقة التي سميت بعد ذلك باسمها، وتنسب قبيلة يافع إلى يافع بن قاول بن زيد بن ناعتة بن شرحبيل بن زيد بن يريم ذي رعين (الأكبر)[٣] بن سهل بن زيد الجمهور بن عمرو بن حيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل، ويصل هذا النسب إلى حمير ابن سبأ[٤]، ومن تسمية هذا الشخص حملت القبيلة هذا الاسم.

---

(١) **لقمان**: حمزة علي، تاريخ القبائل اليمنية، ج ١، دار الكلمة، صنعاء، ١٩٨٥م، ص١٨٢ .

(٢) سالم: السيد عبدالعزيز، دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ، ص١٢٣، ١٢٤ .

(٣) المقحفي: إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٥م، ص٧٥٣. شرف الدين أحمد حسين: دراسات في أنساب القبائل اليمنية، ١٩٨٥، ص١٠١. الناخبي: عبدالله بن أحمد بن محسن، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، ١٩٩٠م، ص٣٤. بن همام: خالد عبدالملك حسين، ملخص عن تاريخ يافع حضرموت، المكلا، ٢٠٠٨م ص٣ .

(٤) انظر مشجرة أنساب يافع في الملحق رقم (١٢) ص٤٤٠.

إن البحث في البنية الاجتماعية والسياسية لقبيلة يافع ليس بالأمر اليسير بحكم كبر حجمها، وضخامة عددها، وتعقيدات بنيتها الاجتماعية، واختلاف تقسيماتها سياسياً، فتتكون بلاد يافع منذ القرن العاشر للهجرة من سلطنتين هما سلطنة يافع العليا وتشمل المكاتب الآتية: الضبي، البُعْسي، الحضرمي، أهل الشيخ علي، أهل الَحدْ، المفلحي، والموسطة، وسلطنة يافع السفلى وتشمل المكاتب الآتية: يهر، اليزيدي، كلد، مشألة، الناخبي، أهل عفيف، السعدي، كما توجد بعض المشيخات المستقلة عن هاتين السلطنتين مثل مشيخة المفلحي، مشيخة الخلاقي[١].

تنقسم قبيلة يافع إلى يافع العليا ويافع السفلى، وينضوي تحت كل منهما عدد من المكاتب التي تتفرع إلى أفخاذ وبيوت وأسر، ويوجد اختلاف بين المؤرخين حول عدد هذه المكاتب وفروعها الأساسية والثانوية[٢] للأسباب المذكورة سابقاً والمتمثلة بدرجة رئيسية في طبيعة هذه القبيلة وكبر حجمها، وفيما يتعلق بسلطنة يافع العليا (بني مالك) فهي تتكون من عدد من المكاتب أهمها المكاتب الآتية:

١- مكتب الضبي ويشمل الأفخاذ والفروع الآتية: الصلاحي،

(١) الموسوعة اليمنية: المجلد الرابع (ك - ي) مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ص٣١٩٧.

(٢) قسم المؤرخ صلاح عبدالقادر البكري يافع إلى أربعة مكاتب، وقسمها حمزة لقمان إلى سبعة مكاتب، وخالد عبدالملك حسين بن همام جعلها عشرة مكاتب، ويرى الباحث أن هذه التقسيمات أسهمت في تكرار بعض الأفخاذ والفروع في بعض المكاتب.

الشرفي، الطفي، السعيدي، الصرافي، السلفي، عاطف جابر[١] .

٢- مكتب البُعسي: ويشمل فخذي الحوري، السييلي[٢] .

٣- مكتب الحضرمي: وينضوي تحته أفخاذ السياني، البلحاي، الثلثي، المرفدي .

٤- مكتب أهل الشيخ علي: ويضم أهل أحمد، أهل علي، أهل حسين .

٥- مكتب أهل الَحدْ: ويشمل الأفخاذ الآتية: الداؤودي، الجابري، الشيوهي، الحصين، الجوهري، الحيدي، الفردي، والبكري .

٦- مكتب المفلحي: وينقسم إلى مكتبين الأول مكتب المفلحي (الأعلى) ويتفرع إلى قسمين يضم القسم الأول مجموعة السليماني، الدهرشي، والذرحاني، وينقسم القسم الثاني إلى مجموعة النعماني، أهل يونس، المنفري، الحريبي، اليسلمي، المشألي[٣].

وأما المكتب الثاني فهو مكتب المفلحي (الأسفل) الذي ينقسم أيضاً إلى قسمين هما أهل مسلم، وأهل خلّه، ويتفرع أهل مسلم إلى الفروع الآتية: أهل سعيد، وأهل سريب، أهل الجوت، بيت الشمري، بيت القويعي، عيال علي صالح، عيال حسين ناصر، عيال الدحامي، عيال الحاج، عيال قاسم سعيد، العرن، في

(١) لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص٢٠٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٩.
(٣) المرجع نفسه، ص٢٠٣ - ٢١٣.

حين يتكون القسم الآخر من مكتب المفلحي الأسفل من الفقيري، الحيدري، المحرمي، العجلمي، التدوي، الأجبور، أهل صلاح، أهل أبوبكر، أهل سكنه، أهل المنصوب، أهل العليبي، أهل الأعمور، أهل بن عبادي، أهل الحصن، أهل حبة، أهل عامر، عيال منصر، عيال محمد الحداد، عيال محمد شيخ، عيال الجوباني[١].

٧- مكتب الموسطة: ويتكون من الأفخاذ الآتية: الخلاقي، العلسي، الرَيْوي، القعيطي، السعدي، السعيدي، الجرادي، الرشيدي، الحوثري، العيروى، العيسائي، الحنشي، الفلاحي، النجدي، القدحي، عُلْوَّان[٢].

وهناك من المؤرخين من يلحق بمكتب الموسطة الأفخاذ الآتية:

الداؤودي، القريضي، الأردف، العنقدي، الرباط، القرعي، السيل، بني ضبيان[٣].

أما سلطنة يافع السفلى (بني قاصد)[٤] فتقسم إلى سبعة مكاتب،

---

(١) لقمان/ تاريخ القبائل اليمنية، المرجع السابق: ص ٢١٤، ٢١٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٠٦ - ٢٠٨.

(٣) البكري: صلاح عبدالقادر، حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، مكتبة الإرشاد، جدة، مطبعة المدني،
المؤسسة السعودية بمصر، ١٩٦٠م، ص٢٨٣، ٢٨٤.

(٤) بنو قاصد: تدعى يافع السفلى ببني قاصد (بحرف الصاد)، إلا أن الهمداني ذكرها في (صفة جزيرة العرب) بيافع بني قاسد (بحرف السين)، وفي لغة جنوب الجزيرة العربية القديمة تعني قاسد قائداً حربياً قبلياً غير نظامي. لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، المرجع السابق، ص١٨٥.

وينضوي تحت هذه المكاتب عدد من الأفخاذ ومن هذه المكاتب ما يأتي:

١- مكتب يهر: وهو من أكبر مكاتب يافع السفلى ويضم يهر (حمير سبأ)، ويهر (الخموسي[١] بن قحطان)، وتتفرع من يهر (حمير سبأ) أفخاذ الربيعي، حميري الوادي، حميري الجبل، حميري الوسطى، العرى، العلوي.
وأما يهر الخموسي فتنضوي تحته أفخاذ العمري، المحرمي، ظبهي، الشجي، مسلمي العبدلي، ومسلمي العاطفي[٢].

٢- مكتب اليزيدي: ويضم أفخاذ التلبي، الحمائي، الكبابي، السلفي، النفاجي[٣].

٣- مكتب كلد: ويضم أفخاذ العطوي أو آل عطية، الرهوي، السنيدي، آل بن عاطف العليا، آل بن عاطف السفلى، الطالبي، المنجدي، اليوسفي، المنصري، البوبكري، العلوي الجلادي، العمري، الجريري، السعيدي .

٤- مكتب مشألة (مشألي): وتنضوي تحته الأفخاذ الآتية: أهل تام، أهل بن مفلح، أهل سالم، أهل سعد، بوطالب.

٥- مكتب الناخبي: ويضم أفخاذ الآتية: آل القحيم، آل الكهالي، آل الشقي، آل نسر، آل عمار، آل بن ناجي، آل علايه، آل منصور، آل مرشد، آل الكسادي، الغُبْران، بني عصر[٤].

---

(١) الخموسي مفرد خميس بلغة المسند وتعني الجيش.
(٢) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص٢٨٨.
(٣) شهاب: حسن صالح، يافع في عهد سلطان آل عفيف وهرهرة، عدن، ٢٠٠١م، ص٢٨.
(٤) المرجع نفسه، ص٢٥ - ٢٧.

٦- مكتب أهل عفيف: ويتكون من أفخاذ أهل حمد بن علي، أهل سيف بن علي، أهل محسن بن علي، أهل أبوبكر بن غالب، أهل علي بن غالب، أهل عبدالكريم، أهل أحمد بن ناصر[١].

٧- مكتب السعدي: ويضم أفخاذ البارعي، الوعلاني، الأحمري، العامري، التامي، العمري، المحمدي، الذوادي، القبيلة[٢].

ثانياً: موطن قبيلة يافع:

تقع بلاد يافع في الشمال الشرقي لمدينة عدن وتحديداً في المنطقة المعروفة باسم [سرو حمير[٣]، ويحدها من الشمال رداع، ومن الجنوب منطقة أبين وهي بلاد قبيلة الفضلي، ومنطقة أحور وهي بلاد قبيلة العوالق (باكازم)[٤]، ويحدها من جهة الشرق البيضاء وبلاد قبيلة بني ضبيان، ومن الغرب مناطق الشعيب وحالمين وردفان وبلاد الحواشب[٥].

تتكون جغرافية بلاد يافع من منطقة جبلية صخرية صلبة ترتفع عن مستوى سطح البحر بنحو **٢٢٠٠** قدم، وهي من المناطق الجبلية العالية في جنوب اليمن، ويعد جبل (ثمر) الجبل الأعلى فيه، إذ يرتفع عن

---

(١) لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، المرجع السابق، ص٢٠٢.

(٢) شهاب: يافع في عهد سلطان آل عفيف وهرهرة، المرجع السابق، ص٢٧، ٢٨.

(٣) سرو حمير: السرو الشرف، والسرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر من غلظ الجبل. نقلاً عن محمد علي الأكوع الحوالي. اليمن الخضراء مهد الحضارة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة صنعاء، ٢٠٠٤م، ص١١٠.

(٤) الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، المجلد الرابع، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤٩٣.

(٥) شهاب: يافع في عهد سلطان آل عفيف وهرهرة، المرجع السابق، ص٨.

مستوى سطح البحر بنحو ٢٥٠٠ قدم[١]، حيث يلعب عامل الارتفاع دوراً مهماً في اعتدال درجة الحرارة وفي سقوط الأمطار الموسمية الصيفية على بلاد يافع عندما تصطدم الرياح الموسمية الغربية المحملة ببخار الماء بهذه المرتفعات الجبلية تنحدر منها مياه هذه الأمطار مخترقة الأودية التي تتخلل هذه المرتفعات الجبلية، ومن أهمها وادي حطيب الذي يتصل بوادي حمرة عند نهايته ليصب في وادي بنا الذي يروي أراضي منطقة أبين بالمياه في مواسم سقوط الأمطار.

كانت قبيلة يافع كغيرها من قبائل المناطق اليمنية الأخرى تستفيد من الظروف الطبيعية لبلادها ومن مياه الأمطار في ري أراضيها الزراعية التي تنتج محاصيل زراعية يختلف بعضها عن محاصيل بقية المناطق اليمنية الأخرى المماثلة لها في الظروف الطبيعية، ويعد الورس[٢] والبن[٣] من أهم المحاصيل الزراعية في بلاد يافع، كما اعتمد سكان بلاد يافع أيضاً على مياه الآبار الجوفية في ري بعض المحاصيل الزراعية في فترة انقطاع مياه الأمطار عن بلادهم[٤]،

(١) الموسوعة اليمنية: المرجع السابق، ص٣١٩٧.

(٢) الورس: صباغ أحمر تزين النساء به وجوههن فيساعد على زيادة بياض البشرة، كما يستخدم كدواء مسهل للبطن ولقتل الديدان فيها. شهاب: يافع في عهد سلطان آل عفيف وهرهرة، المرجع السابق، ص١٤. الشرفي: علي صالح، مقابلة شخصية أجراها الباحث، وهو أحد ملاك محلات المعطارة في مدينة المكلا بتاريخ ١٤/ ٧/ ٢٠٠٨م.

(٣) البن: يعتبر من أجود أنواع البن في اليمن، ويمتاز بمذاقه الخاص عن بقية أصناف البن الأخرى فهو أكثر حلاوة منها وذو لون أحمر، الشرفي: المرجع نفسه.

(٤) شهاب: يافع في عهد سلطان آل عفيف وهرهرة، المرجع السابق، ص١٤. البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص٢٧٩ - ٢٨١.

وبالإضافة إلى محصولي الورس والبن فإنه تزرع في بلاد يافع محاصيل أخرى وأهمها الحبوب، والفواكه، والبرسيم[١]. . . . إلخ، وامتهن سكان بلاد يافع مهن أخرى كتربية الماشية، والدواجن، وإنتاج السمن والزيوت، ومهنة الاحتطاب[٢].

ثالثاً: أهم المدن والقرى اليافعية:

توجد في بلاد يافع بعض المدن التي أسهمت في تكوين تاريخ بلاد يافع وإن اختلفت أدوارها ومن هذه المدن ما يأتي:

أ) مدينة خنفر:

تقع على سفح جبل خنفر الذي يبلغ ارتفاعه ٧٠ متراً تقريباً عن سطح البحر، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى خنفر بن سبأ الأصغر[٣]، ومنها خرج علي بن الفضل الذي قام بنشر الدعوة الفاطمية الشيعية في اليمن واحتل صنعاء وأجزاء كبيرة من اليمن معلناً استقلاله عن الخلافة العباسية في بغداد ثم عن الدولة الفاطمية في مصر متخذاً من (المذيخرة) عاصمة لدولته عام ٢٩٤هـ/ ٩٠٦م[٤].

وكانت مدينة خنفر في عصر دولة حمير محطة عسكرية قوية، ويوجد مكان مدينة خنفر اليوم مدينة جعار التي تعتبر مركز النشاط

---

(١) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق: ص ٢٨٠.
(٢) الكاف: سقاف علي، حضرموت عبر أربعة عشر قرن، بيروت، ١٩٩٠، ص٢٣. لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص١٨٢، ١٨٣.
(٣) لقمان: المرجع نفسه: ص ١٨٢.
(٤) الفقي: عصام الدين عبدالرؤوف، اليمن في ظل الإسلام، دار الفكر العربي، ١٩٨٢م، ص١٣٥.

التجاري والزراعي في أبين، كما أنها العاصمة الإدارية ليافع السفلى التي توجد فيها منطقة يافع ومناطق قبلية أخرى.

ب) مدينة خيلة:

تقع في منطقة الحد من يافع العليا، ويسكنها آل عبدالرحمن بن عمر وآل عبدالقادر بن عمر، وهي حرم آمن لكل من يلجأ إليها لضمان سلامة حياته ما دام مقيماً فيها؛ لأن الأعراف والتقاليد القبلية اليافعية تمنع القتل فيها أو الاعتداء على اللاجئين إليها.

ج) مدينة بني بكر:

وتسمى أيضاً (بنيبك) وتقع في منطقة الحد على سهل جبلي مسطح وتتخلله أودية صغيرة يزرع فيها القات والذرة والفاكهة، وتعتبر من أكثر مدن يافع العليا من حيث السكان، وهي أحد مراكز الإمداد البشري لقبيلة يافع بالمقاتلين حيث بلغ عددهم عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م ثمانمائة مقاتل[١].

د) مدينة القارة:

تقع مدينة القارة على مسافة ٩٠ ميلاً تقريباً إلى الشرق من مدينة عدن، وقد كانت عاصمة لبلاد يافع، ولذلك فإن جميع قبيلة يافع السفلى والعليا يسلمون (الكيلة العشرية)[٢] لحكام القارة، كما أنها

---

(١) لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، المرجع السابق، ص١٨٢، ١٨٣.

(٢) الكيلة العشرية: تعني الكيلة العاشرة من المحاصيل الزراعية أو العاشرة بمكيال (الكأس)، فصاحب الموسطة وهي من مشيخات يافع العليا كان يسلم الكأس للقارة أي أنه كان يدفع العشور للقارة.

تعتبر مقراً لسلاطين آل عفيف (بني قاصد)، بالإضافة إلى أن مدينة القارة اعتبرت حرماً آمناً لكل من يلجأ إليها، وقد جاءت حرمتها لوجود الطبل النحاسي (طبل الحرب عند يافع)[١]، ولوجود ضريح أحد الأولياء الصالحين[٢].

(١) الطبل النحاسي: يعتبر طبل الحرب عند قبيلة يافع ويمثل رمزاً لوحدتها فعلى ضرباته تقبل كل قبائل يافع من كل ناحية سواء في الحرب أو في الملمات.

(٢) لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، المرجع السابق: ص ١٦٩. شهابة: يافع في عهد سلطان آل عفيف وهرهرة، المرجع السابق: ص ١٨-٢١.

المبحث الثاني

الوجود اليافعي في حضرموت

أولاً: أسباب القدوم اليافعي إلى حضرموت:

تعد هجرة الأفخاذ اليافعية إلى حضرموت من أكبر الهجرات اليمنية، بل وتعتبر أكبر هجرة إلى حضرموت في العصر الحديث حيث مثلت أهمية كبيرة في التاريخ السياسي الحديث لحضرموت، بل وكان لها أثر عميق على مجرى الأوضاع السياسية فيها، وهناك أسباب عديدة دفعت مجاميع كبيرة من الأفخاذ اليافعية إلى ترك موطنها الأصلي والاستقرار في حضرموت، وقد أشار المؤرخ عبدالله أحمد الناخبي إلى بعض تلك الأسباب والمتمثلة فيما يأتي:

أ) الحروب التي خاضتها الأفخاذ اليافعية فيما بينها البين في بلادها لأسباب عديدة واضطرار أعداد كبيرة من المنهزمين فيها إلى الهجرة نحو أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية حيث نزل بعضهم في الإحساء والقطيف ومنها تفرقوا إلى عمان، كما نزل البعض الآخر منهم وهم القحّاطون إلى مدينة الشحر في حضرموت.

ب) ازدياد عدد السكان في بلاد يافع وعدم قدرة هذه البلاد على توفير الغذاء الكافي لهم بسبب قلة الأراضي الزراعية فيها واعتمادهم على مياه الأمطار القليلة في زراعتها.

ج) التجارة مع بقية المناطق اليمنية ولا سيما مع حضرموت التي كانت سوقاً لحاصلات اليمن ومنها يافع .

د) التجنيد في جيوش السلطنات والإمارات في حضرموت للحصول على لقمة العيش[١].

ويرى الباحث أنه كانت توجد أسباب أخرى دفعت أفخاذاً يافعية إلى ترك موطنها الأصلي والانتقال إلى حضرموت منها:

١- الاستفادة من خيرات حضرموت وثرواتها واتخاذها منفذاً للهجرة إلى الهند وجنوب شرق آسيا وشرق إفريقيا.
٢- طموح بعض الأفخاذ اليافعية في الاستيلاء على السلطة السياسية في حضرموت وتكوين إمارات خاصة بها فيها.
٣- خضوع العديد من الأفخاذ اليافعية لتأثيرات بعض الأسر العلوية في حضرموت كأسرة آل الشيخ أبي بكر بن سالم في عينات وآل العطاس في حريضة[٢].

ثانياً: بداية الوجود اليافعي في حضرموت:

تعددت آراء المؤرخين واختلفت استنتاجاتهم حول تاريخ بداية الوجود اليافعي في حضرموت حيث ظهرت لهم في ذلك أربعة آراء متباينة هي:

الرأي الأول: يرى القائلون به أن بداية الوجود اليافعي في حضرموت يعود إلى عهد الملك الحميري سيف بن ذي يزن الذي قاد حركة المقاومة اليمنية لتحرير اليمن بمساعدة الفرس من الاحتلال

(١) الناخبي: عبدالله بن أحمد بن محسن، رحلة إلى يافع أو يافع في أدوار التاريخ، الطبعة الأولى، شركة دار الطباعة والنشر، جدة، السعودية، ١٤١٠هـ، ص٨٨.
(٢) انظر: ازدياد النفوذ اليافعي في حضرموت، ص١٥.

الحبشي (٥٢٥ - ٥٦٧م)، وكانت بداية استقرارهم في منطقة القطن[١] بوادي حضرموت، حيث استطاعت قبيلة يافع أن تقيم تحالفات ومعاهدات حسن جوار مع القبائل المجاورة لمنطقة القطن واندمجوا وأصبحوا جزءاً منها ولم يحتفظوا بأنسابهم[٢].

الرأي الثاني: يرجع أصحاب هذا الرأي بداية الوجود اليافعي في حضرموت إلى عام (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) عندما جاءت إلى الشحر جماعة من يافع بزعامة الشيخ مبارك الكلدي[٣] على إثر خصومة وحرب مع إخوانهم في عدن عندما دخلها المجاهد شمس الدين بن علي الطاهري وأجبر آل الكلدي الموجودين فيها على الرحيل منها خلال ثلاثة أيام وبذلك تفرق آل الكلدي إلى مناطق مختلفة حيث هاجر بعضهم إلى بربرة وزيلع في الصومال، بينما اتجه البعض منهم إلى مدينة الشحر في حضرموت[٤]، وفي رأينا أن قدومهم إلى الشحر كان لغرض طلب

---

(١) القطن: مدينة في وادي حضرموت تقع في ملتقى سيول الأودية الرئيسية كوادي العين، ووادي دوعن، ووادي عمد، وتمتد من منطقة بروج غرباً إلى العنين شرقاً.

(٢) بامطرف: محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة، عدن ١٩٨٣م، ص٢٦. زيدان: جرجي، تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، بدون تاريخ، ص١٣٢ - ١٣٦. الناخبي: عبدالله بن أحمد بن محسن، الكوكب اللامع فيما أهمل من تاريخ يافع، جدة، ١٩٩٩م، ص١٤، ١٥، ٢٠.

(٣) كان آل الكلدي جنود عند السلطان المسعود الأيوبي في عدن إلا أنهم قد استأثروا بالحكم من دونه ولم ينقادوا له مما جعله يغادر مدينة عدن خوفاً منهم، وقد رفضوا قبول الحكم الطاهري على عدن، بينما رحب آل أحمد بن علي بالطاهريين وتعاونوا معهم في السيطرة على عدن.

(٤) الحامد: صالح بن علي، تاريخ حضرموت، ج٢، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٥٧١، ٥٧٢.

المساعدة من حاكمها محمد بن سعيد بن فارس الكندي المكنى (أبو دجانة) الذي كان في عداء مع الطاهريين في عدن، واستطاعوا بالفعل إقناعه لإرسال حملة عسكرية إلى عدن في عام ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م إلا أنها باءت بالفشل، وبالتالي عودة آل كلد مرة أخرى إلى مدينة الشحر.

الرأي الثالث: يرى أن بداية الوجود اليافعي في حضرموت يعود إلى عهد السلطان بدر بن عبدالله الكثيري المكنى (بوطويرق[١] الذي جلب في عام (٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م) عدداً من رجال قبيلة يافع[٢]؛ لغرض الاستعانة بهم في صراعه مع خصومه ومنافسيه من داخل الأسرة الكثيرية وغيرهم على السلطة والنفوذ في حضرموت ففي شهر ذي الحجة عام (٩٢٥هـ/ ١٥١٩م) توجه السلطان بدر بوطويرق إلى اليمن للاستعانة بالإمام الزيدي في صنعاء كي يمده بجيش يساعده لتعزيز سلطته في حضرموت حين أمره الإمام بالبقاء لديه ليشاهد وفود القبائل القادمة من المناطق اليمنية المختلفة للتهنئة فيختار منها القبيلة المناسبة لهذا الغرض، وعندما شاهد وفود القبائل في العيد نالت إعجابه قبيلة يافع فاختار منها خمسة آلاف مقاتل وسار بهم إلى حضرموت متخذاً

(١) وهو بدر بن عبدالله بن جعفر بن بدر الكثيري المكنى (أبو طويرق) والذي حكم الدولة الكثيرية في الفترة (٩٢٢/ ٩٧٦هـ ـ ١٥١٦/ ١٥٦٨م)، وللمزيد من المعلومات عن هذه الشخصية راجع كتاب عبدالحكيم صالح عبدالله العامري، (السلطان بدر عبدالله بن جعفر الكثيري)، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ٢٠٠٦م.

(٢) القعيطي: غالب بن عوض، تأملات عن تاريخ حضرموت قبل الإسلام وفي فجره، جدة، ١٩٩٦م، ص٥٣.

منهم جنوداً في جيش الدولة الكثيرية[١]، استدل أصحاب هذا الرأي بأبيات من الشعر منسوبة إلى الشيخ سعد السويني[٢] قال فيها:

راسي ضرب من حنة المدافع لا حل لك يا بدر جبت يافع
ذولا لغتهم تشبه الضفادع

كما قال الشاعر سعد السويني أبياتاً أخرى يصف فيها يافع:

عارضت يافع نافذين حدرا[٣] وجوههم مثل التراب غبرا
عسى لهم نذقه إلى سقطرا والأرض تصفو برها وبحرا
علقتنا في شوك ما تبرا[٤]

أما أصحاب **الرأي الرابع**: فيرجعون بداية الوجود اليافعي في

---

(١) الملاحي: أحمد عبدالرحمن، المذكرة التاريخية، مخطوط نسخة مصورة لدى الدكتور عبدالله سعيد الجعيدي، ص١٦. السقاف: عبدالله، التاريخ الحضرمي السياسي، مجلة (النهضة الحضرمية)، مصر، العدد (الثامن)، ربيع ثاني، ١٣٥٢هـ، ص٤، ٥.

(٢) هو سعد بن علي بامذحج توفي عام (٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م) بعد أن أصيب في معركة (باجلحبان) التي دارت بين السلطان بدر بن عبدالله بن علي بن عمر الكثيري وآل يماني في عام (٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، وكان في جيش بدر فرقة من المقاتلين اليافعيين.

(٣) حدرا: قسم أهل وادي حضرموت الوادي إلى قسمين علوا وهو ما ارتفع من وادي حضرموت باتجاه دوعن، وحدرا تعني ما انحدر من الوادي وتشمل سيئون وتريم.

(٤) السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله، مخطوط بضائع التابوت، ج٢، نسخة مصورة لدى الدكتور حسن صالح الغلام، ص١٢٩. الناخبي: الكوكب اللامع، المرجع السابق، ص٣١.

حضرموت إلى عهد السلطان بدر بن محمد المردوف[١] الذي استنجد بقبيلة يافع لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري الذي اعتنق المذهب الزيدي، وكان مزوداً بكتاب من منصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم بـ(عينات) علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن حسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم الزعيم الروحي لقبيلة يافع، وقد لبت قبيلة يافع ذلك النداء وقدم منها ستة آلاف مقاتل إلى حضرموت[٢]، وكان ذلك في سنة (١١١٦هـ/ ١٧٠٤م)[٣].

وبتحليل هذه الآراء الأربعة المتباينة للمؤرخين حول تاريخ بداية الوجود اليافعي في حضرموت والتدقيق بنظرة فاحصة في الأحداث التاريخية لتلك الفترات فإن الباحث يميل إلى ترجيح الرأي الأول الذي يرجع بداية الوجود اليافعي في حضرموت إلى عهد الملك الحميري سيف بن ذي يزن حيث إن الظهور اليافعي في حضرموت حصل على شكل جماعات استقرت في منطقة الريضة بالقطن وعقدت تحالفات ومعاهدات مع القبائل الحضرمية المجاورة لها، وأصبح وضع هذه

---

(١) السلطان بدر المردوف: هو السلطان بدر بن محمد المردوف بن بدر بن عمر أبي طويرق تولى السلطنة الكثيرية سنة (١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م) بعد السلطان علي بن بدر، وشهدت فترة حكمه محناً عصيبة عاشتها حضرموت حيث سادت فيها سلطة قبيلة يافع، وانتفضت البلاد كلها ضد حكمه، وكانت وفاته في سنة (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م). وللمزيد من المعلومات راجع كتاب (الدولة الكثيرية) لمحمد بن هاشم، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م ص١١٦ - ١٢٠.

(٢) انظر: ازدياد النفوذ اليافعي في حضرموت، ص١٥ - ١٧.

(٣) السقاف: بضائع التابوت، المرجع السابق، ص١٢٧ - ١٢٩. بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق ١١٨.

الجماعات كوضع القبائل الحضرمية لها ما لها وعليها ما عليها؛ بمعنى أن وجود هذه الجماعات اليافعية في منطقة القطن يمثل بداية الوجود والاستقرار اليافعي في حضرموت، وإن كان تأثيرها في تلك الفترة محدوداً جداً إلا أننا نعتبر ذلك بداية الوجود والاستقرار اليافعي، وبداية التدخل في شؤون حضرموت وقبائلها، كما أن الأخذ بهذا الرأي لا ينفي حصول بعض الهجرات اليافعية إلى حضرموت قبل هذا التاريخ مثل بقية المناطق اليمنية الأخرى التي شهدت هجرات داخلية مختلفة على مر العصور، ولكنه كان وجود لأفراد يتوزعون في مناطق مختلفة من حضرموت ولم يكن لهم تأثير على الأوضاع السياسية في حضرموت، كما أن المصادر والمراجع المتاحة لم تشر إلى قيام يافع بعقد أي معاهدات أو تحالفات مع القبائل الحضرمية قبل تلك الفترة التاريخية، وفيما يختص بالرأي القائل بأن بداية الوجود اليافعي في حضرموت يعود إلى التاريخ الذي هاجرت فيه جماعة من آل الكلدي إلى الشحر في سنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) فإن الباحث يرى بأن القائلين بهذا الرأي قد جانبوا الصواب، ولكن هذه الهجرة كانت واحدة من الهجرات اليافعية إلى حضرموت، وأنها كانت هجرة قليلة العدد لفرع من الفخذ الكلدي الذي كان موجوداً في عدن فضلاً عن أنه من الثابت تاريخياً أن الوجود اليافعي في حضرموت قد حصل قبل تلك الفترة.

وأما الذين يرون بأن السلطان بدر أبوطويرق هو الذي جلب الأفخاذ اليافعية إلى حضرموت واستدلوا على ذلك بأبيات الشعر التي سبقت الإشارة إليها والمنسوبة إلى الشاعر سعد السويني فلعل الأمر قد التبس عليهم كما يرى المؤرخ أحمد عبدالله الناخبي وأن الأبيات لا

تدل على تنبؤ، بل تدل على مشاهدة لقبيلة يافع، فوجوه قبيلة يافع ليست مثل التراب ولكنها فائقة في الجمال، كما أن الأبيات وصفت لهجة يافع، ولهجتهم تختلف عن لهجة يافع الحضارم ولكنها عربية[١]، كما أن الشاعر سعد السويني كان موجوداً في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وقبيلة يافع لها وجود في حضرموت ولهجتها اللهجة الحضرمية ولا وجود للمدافع والبندقية، وشأنهم شأن الحضارم في التجارة والزراعة وحماية أماكنهم بقوة السلاح المتوفرة في ذلك الوقت[٢]، ولذلك فإن ما استدلت به هذه المجموعة غير صحيح؛ لأن الأبيات كما يرى المؤرخ الناخبي لا يصح نسبتها إلى الشاعر سعد السويني؛ لأنه لم يشاهد يافع الجبل الذين يطلق عليهم يافع الأغراب[٣]، ونفس الوقت لم يخلق السلطان أبو طويرق بعدُ، ولا تدل الأبيات على التنبؤ، فإذن الأبيات ليست للشاعر سعد السويني، ولكنها لشاعر آخر عاش عند ظهور البندقية[٤]، ويبدو أن هذه الأبيات

(١) الناخبي: الكوكب اللامع، المرجع السابق، ص٣١.

(٢) المرجع نفسه، ص٣١.

(٣) يقسم سكان حضرموت يافع إلى قسمين: الأول يطلق عليهم يافع (التلد) وهم الذين قدموا إلى حضرموت قبل استقدام بدر المردوف لجماعة من يافع وأصبحوا يمثلون جزءاً من قبائل حضرموت لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، أما يافع (الغُربة) بـ(ضم الغين) فهو تحريف حضرمي لكلمة (الغرباء) وهم الذين استقدمهم السلطان بدر المردوف الكثيري من جبل يافع في مطلع القرن الثاني عشر للهجرة، الثامن عشر للميلاد كجنود في جيشه.

(٤) ظهور البندقية في حضرموت كان في عهد السلطان بدر أبي طويرق الذي جلب الجند العثمانيين وأدخلهم في جيشه سنة (٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)، وسميت بندق (أبو فتيلة)، كما سميت بندق (الروم)، وكان يطلق حينذاك اسم (الروم) على العثمانيين. بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص٥٩، ٦٠.

قيلت في زمن بدر المردوف الذي جلب مجاميع كبيرة من يافع الأغراب إلى حضرموت في أوائل القرن الثاني عشر الهجري أي الثامن عشر للميلاد[١].

وأما الرأي الأخير والقائل بأن الوجود اليافعي في حضرموت يعود إلى عهد السلطان بدر المردوف فالباحث يرى أنه لا يمثل بداية للوجود اليافعي في حضرموت؛ لأن وصول هذه الجماعات إليها كانت في فترة متأخرة عام (١١١٩هـ/ ١٧٠٨م) وكان هدفها هو حسم الصراع بين السلطان بدر المردوف والسلطان عمر بن جعفر وأن هناك هجرات كثيرة سبقتها إلى حضرموت.

ثالثاً: الأفخاذ اليافعية التي استقرت في حضرموت:

سبقت الإشارة إلى هجرة القبيلة اليافعية إلى حضرموت وبداية الوجود والاستقرار فيها حيث توزعت في أنحاء متفرقة من حضرموت واستوطنت فيها، وقد انضوت هذه الأفخاذ تحت رئاسة ثلاثة مكاتب رئيسية هي:

أ) **مكتب يافع الضبي**: ويضم عدداً من الأفخاذ اليافعية؛ وهي فخذ آل الشيخ علي هرهرة، وفخذ السرائي الذي يتكون من آل المصلي، وآل بن عاطف جابر، وآل بن علي سواد، وآل البطل، وآل بو حزام، وآل العبادي، كما يضم المكتب أيضاً فخذ آل الشرفي والذي يشمل فروع آل مساوي، آل عبدان، آل شعموطي، آل عبدالملك، آل بو طلحة، آل الدوشي، وفخذ السيبلي الذي يضم فروع

(١) بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص ٣١.

آل الفضلي، آل بن داعر، الشهابي، كما يضم هذا المكتب أيضاً أفخاذ الحضرمي، المرفدي، آل الشاؤوش، فيما يضم فخذ البكري فروع آل عز الدين، آل الحقبي، آل بن نسر، آل موجر، آل الدريبي، آل ضيف، وينضوي تحت لواء هذا المكتب أيضاً فخذ العيدي (بكسر العين) وهم آل الجحوشي، آل مثنى، وفخذ الطفي الذي يضم فروع آل عفيف، الزغلدي، آل بن صادق، ويضم مكتب الضبي في حضرموت أفخاذ آل داؤود، آل المفلحي، آل الفردي[١].

ب) **مكتب الموسطة في حضرموت**: ويضم هذا المكتب عددا مًن الأفخاذ اليافعية منها فخذ الحوثري الذي يضم آل بن علي الحاج، آل الجهوري، آل بن علي ناجي، فخذ السعيدي الذي يضم، آل بن علي جابر، آل بن جابر أحمد، وفخذ القعيطي الذي ينضوي تحته فروع آل الأحمدي، الحدادي، آل بوبك، آل بن مدشل، آل بن جحلان، آل الريوي، آل الدهري، آل حمود مبارك، آل مخارش، آل النقيب، كما يضم المكتب أيضاً فخذ الخلاقي، ومن فروعه آل الرباكي، آل بن معمر، آل بن علي عوض، وفخذ البعسي الذي يتكون من آل غرامة، آل بن طويرق، آل بن زياد، آل بن حطبين، آل الضباعي، آل بن هشام، كما يضم مكتب الموسطة في حضرموت أيضاً آل العيسائي[٢]،

---

(١) البطاطي: عبدالخالق بن عبدالله بن صالح، إثبات ما ليس مثبوت من تاريخ يافع في حضرموت، جدة، يناير ١٩٨٩م، ص٩١، بن همام: خالد عبدالملك حسين، ملخص عن تاريخ يافع حضرموت، المرجع السابق، ص٩، ١٠.

(٢) العيسائي: يطلق على معظم آل العيسائي في حضرموت اسم الموسطي رأساً إلى المكتب.

آل الحريبي، آل الرشيدي، آل الحمري، آل الداؤودي[١].

ج) **مكتب يافع بني قاصد في حضرموت**: ويضم هذا المكتب عدداً من الأفخاذ اليافعية منها فخذ اليزيدي ومن فروعه آل البطاطي، آل البياني، آل بن جحنون، آل بن فليس، آل الصهيبي، آل بن طوق، آل بن جرهوم، آل بن محمد معوضة، وفخذ الجهري والذي يتكون من آل الحريبي، آل الشنظوري، وآل الحميري، وفخذ السعدي ويضم فروع بن حنش، بن ناجي، بن جحاف، بن محسن جابر، وفخذ الناخبي الذي يعتبر من أكبر الأفخاذ اليافعية في مكتب يافع (بني قاصد) في حضرموت ويضم هذا الفخذ فروع آل الكسادي، آل معوضة، آل بن عبدالقادر، آل همام، آل لحمان، آل الريدماني، آل بريك، آل قحطان، آل بن بريك، آل الذيباني، كما يضم هذا المكتب أيضاً فخذ الكلدي[٢].

(١) الشاطري: محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، المدينة المنورة ١٩٩٤م، ص٣٧٤. الملاحي: المذكرة التاريخية، مصدر سابق ص٤٧، ٤٨. بن همام: [ملخص تاريخ يافع، المرجع السابق]، ص١٠، ١١.

(٢) ابن همام: المرجع نفسه، ص١١. الشاطري: المرجع نفسه، ص٣٧٤. البطاطي: إثبات ما ليس مثبوت، المرجع السابق، ص٩٣.

المبحث الثالث

الصراع الإمامي - اليافعي على حضرموت وسيطرة الأفخاذ اليافعية عليها

أولاً: سيطرة الدولة القاسمية الزيدية على حضرموت:

كانت الدولة الكثيرية تحكم حضرموت غير أن الأمور فيها أخذت في الاضطراب بسبب التنافس على الحكم بين سلاطينها مما دفع البعض منهم إلى الاستعانة بقوى من خارج حضرموت، فلجأ السلطان بدر بن عمر الكثيري إلى أئمة اليمن الذين كانوا يتطلعون لمد نفوذهم على حضرموت، ووجد ابن أخيه بدر بن عبدالله بن عمر في ذلك فرصة سانحة للوصول إلى عرش الدولة الكثيرية ووجه إلى عمه اتهاماً باعتناق المذهب الزيدي[١].

وفي عام ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م استولى السلطان بدر بن عبدالله بن عمر على الحكم في الدولة الكثيرية وسجن عمه وابنه المردوف في حصن (مريمة) فأرسل الإمام المتوكل على الله إسماعيل كتاباً يأمر فيه بدر بن عبدالله بإطلاق سراح عمه فأجابه إلى ذلك، وأرسل له كتاباً في عام ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م معلناً له عن الولاء والطاعة[٢].

---

(١) كان السلطان بدر بن عبدالله يهدف من وراء ذلك إلى كسب ود أهل حضرموت الذين يعتنقون المذهب السني الشافعي وتنفيرهم من سلطانهم في محاولة منه لإذكاء الصراع المذهبي، ولعلمه بعدم قبول أهل حضرموت لاعتناق سلطانهم المذهب الزيدي الشيعي.

(٢) باحنان: محمد علي بن عوض، جواهر تاريخ الأحقاف، ج٢، القاهرة، ١٩٦٣، ص٢٠٨.

في عام ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م أرسل الإمام المتوكل رسالة مع القاضي شرف الدين الحيمي طالباً من السلطان بدر بن عبدالله أخذ البيعة له وتمكين القاضي الحيمي من إقامة أمور الشريعة الإسلامية في حضرموت، وفي هذه الأثناء كان السلطان قد عين عمه بدر والياً على ظفار، ثم نشب الخلاف بين بدر بن عمر وابن أخيه مرة أخرى حول ملكية إحدى المزارع في ظفار، وتدخل فيه الإمام المتوكل وجعل ظفار خالصة لبدر بن عمر، إلا أن بدر بن عبدالله تآمر مع أخيه جعفر للاستيلاء على ظفار عام (١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م) فالتجأ عمه إلى الإمام الذي كتب إلى بدر بن عبدالله فأجابه أنه لم يكن على علم بما حدث لعمه، فقرر الإمام بأنه لا فائدة من بقاء السلطان الكثيري تحت النفوذ الزيدي[١].

في ١٥شوال عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م أرسل الإمام المتوكل على الله إسماعيل جيشاً تحت قيادة أحمد بن الحسن الصفي؛ وذلك لإخضاع حضرموت وظفار وتأديب السلطان بدر بن عبدالله الكثيري، حيث وصل هذا الجيش إلى حضرموت في شوال عام ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م وقد عُرف عند أهل حضرموت باسم (سيل الليل)[٢] لقوته

(١) باوزير: سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، بدون تاريخ، ص١٦٢ - ١٦٤.

(٢) سيل الليل: اسم أطلقه عمر بن عبدالرحمن العطاس شاهد عيان على حملة (الصفي)، ويعني هذا التعبير في حضرموت الغربية كارثة اجتماعية أو طبيعية. رودينوف ميخائيل: عادات وتقاليد حضرموت الغربية، جامعة عدن، ٢٠٠٣م، ص٦٧.

وبطشه وكثرة غزواته ليلاً[١].

خرج الجيش الإمامي إلى حضرموت[٢] بطريق خولان مأرب وبيحان وبلاد العوالق حتى وصل إلى وادي حجر حيث واجهته العديد من المصاعب والمتاعب لوعورة الطريق ونفاد المؤن، ولما وصل الجيش الإمامي إلى عقبة (بامسدوس) والتي كانت ترابط بها فرقة من الجيش الكثيري اشتبكوا معها واستطاع الجيش الإمامي من التقدم بعد هزيمة آل كثير، وذلك بمساعدة آل العمودي حكام دوعن الذين قدموا المؤن للجيش الإمامي نكاية بآل كثير أعدائهم[٣].

بعد أن اجتاز الجيش الإمامي عقبة (بامسدوس) تقدم جهة مدينة الهجرين، وكانت قد انضمت إليه قبائل نوح من أهالي حجر واصطدم الجيش الإمامي بآل بن محفوظ من كندة الذين طلبوا العون من قبيلة نهد إلا أن المساعدات قد وصلت بعد أن حسمت المعركة لصالح الجيش الإمامي في الهجرين[٤].

---

(١) بامؤمن: كرامة مبارك سليمان، الفكر والمجتمع في حضرموت، الجمهورية اليمنية، ٢٠٠١م، ص٣٠٢.

(٢) انظر الملحق رقم (١٦) خريطة توضح سير حملة (الصفي) إلى حضرموت، ص٤٤٤.

(٣) المشهور: أبو بكر العدني بن علي أبي بكر، الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث، عدن، ٢٠٠٧م ص١٠٢. مقبل: سيف علي، وحدة اليمن تاريخياً، بيروت، ١٩٨٧م ص٧٦.

(٤) أشار السقاف بأن أهل الهجرين طلبوا الأمان من جيش الإمام كما سلمت منطقة سدبة وحورة وهينن دون مقاومة تذكر، ويرى الباحث أن ما ذهب إليه السقاف غير منطقي ويجافي الحقائق فقد قاومت قبيلة آل بن محفوظ هذا =

ثم واصل الجيش زحفه إلى هينن وفيها دارت معركة مع جيش السلطان بدر بن عبدالله الكثيري، وقد انتهت بهزيمة الجيش الكثيري وانسحابه إلى مدينة شبام، فتابعت القوات الإمامية تقدمها نحو مدينة شبام واستولت عليها، ثم ألقت القبض على السلطان الكثيري وأرسلته إلى الإمام المتوكل إسماعيل، وتم فرض المذهب الزيدي على أهل حضرموت، وبذلك خضعت حضرموت لحكم الدولة المركزية القاسمية إلا أن الإمام سمح للسلطان بدر بن عبدالله بالعودة إلى حضرموت وظل يحكم الدولة الكثيرية إلى أن وافته المنية في عام ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م[1]، وتولى بعد وفاته السلطان بدر بن محمد المردوف والذي دخلت في عهده الدولة الكثيرية مرحلة جديدة من مراحل تاريخها الحديث حيث شهدت صراعاً بين قوتين قادمتين من خارج حضرموت.

= الجيش الإمامي، كذلك المقاومة التي أبدتها القوة الكثيرية المرابطة في عقبة (بامسدوس)، وفي معركة هينن وطلب المساعدات من قبيلة نهد، وهذه المقاومة نابعة من معرفة أهل حضرموت بأساليب البطش والنهب والسلب والقتل التي يتبعها الجيش الإمامي، ولربما قصد مؤرخنا السقاف أن طلب الأمان كان بعد الاستيلاء على هذه المناطق. إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥م، ص١٦٨.

(١) العبدلي: أحمد فضل، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص١٣٠. باعلوي: محمد بن أبي بكر، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، مكتبة الإرشاد صنعاء، ٢٠٠٣م، ص٣٠٠. السقاف: بضائع التابوت، المصدر السابق، ج٢ ص٨٥. مقبل: وحدة اليمن تاريخياً، المرجع السابق، ص٧٦. بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص٩٩، ١٠٠.

ثانياً: الصراع القاسمي - اليافعي وأثره على حضرموت:

استعانت القوى القبلية في حضرموت بقبيلة يافع لمساعدتها في الانفصال عن الدولة المركزية عندما برزت قبيلة يافع قائدة للنضال ضد الإمامة الزيدية في المناطق الجنوبية من اليمن، وتمكنت من تحرير بلاد يافع وأبين والانفصال في عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م[١] عن الدولة القاسمية في صنعاء والمعروفة بـ(الدولة المركزية)، وبذلك دخلت حضرموت دائرة الصراع اليافعي- القاسمي، وقد ساعد قبيلة يافع على مناهضة السلطة المركزية في صنعاء عوامل عديدة منها تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الدولة القاسمية، وضعف الأئمة الذين حكموا الدولة المركزية، وتعدد مدعي الإمامة، بالإضافة إلى ضعف الدولة القاسمية وانتشار التمرد والانتفاضات في أراضيها حيث شكلت انتصارات قبيلة يافع على الدولة القاسمية حافزاً شجع القبائل الحضرمية على الانفصال عن الدولة المركزية وبدأت تتطلع إلى الاستقلال بمساعدة قبيلة يافع، ولكن هذه التطلعات أدخلت حضرموت في حالة من الفوضى والصراعات وانعدام الأمن والاستقرار فيها، وتأثرت به الدولة الكثيرية تأثراً عميقاً، بل برز ذلك بشكل واضح داخل الأسرة الكثيرية التي انقسمت إلى فريقين؛ الفريق الأول يؤيد تبعية حضرموت للإمامة الزيدية، والفريق الآخر

(١) عراسي: شفيقة، الأوضاع الاقتصادية والسياسية في اليمن وأثرها في تغلغل النفوذ الأجنبي (١٥٠٠ - ١٨٠٠م)، مجلة (سبأ)، جامعة عدن، العدد (الرابع)، أكتوبر ١٩٨٨م، ص٨٣.

يؤيد سلطة يافع في حضرموت[١].

ولما كان الوجود اليافعي في حضرموت قبل السيطرة عليها ينحصر في المجندين من يافع في جيش الدولة الكثيرية بدرجة رئيسية، فإنه لم يكن لهذا الوجود دور يذكر في الحياة السياسية بحضرموت؛ لأن الدولة الكثيرية كانت لا تزال حتى تلك الفترة قوية ولم تبدأ الخلافات داخل الأسرة الكثيرية بعد، فضلاً عن أن القوة اليافعية في حضرموت لا تمتلك في ذلك الوقت القوة الكافية التي تمكنها من السيطرة على مجريات الأحداث في الدولة الكثيرية، ولكن عندما بدأ التصدع والانقسام داخل الأسرة الكثيرية[٢] في فترة خضوع حضرموت للدولة القاسمية، بدأت هذه الدولة في التفكير بإعادة النظر في سياستها تجاه حضرموت لكي تحتفظ على الأقل بسلطتها الاسمية عليها، تجلى ذلك في قيام الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن[٣] في عام

(١) الجعيدي: عبدالله سعيد سليمان، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت (١٤١١ - ١٧٣٠م)، أطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، سنة ٢٠٠٣م، ص١٧٦.

(٢) بدأ الانقسام داخل الأسرة الكثيرية يشتد بشكل أكثر منذ عهد السلطان بدر بن محمد (المردوف) (١١٠٧ - ١١٢٠هـ/ ١٦٩٥ - ١٧٠٨م) حيث نافسه على الحكم السلطان عيسى بن بدر والسلطان عمر بن جعفر بن علي وكونا جبهة موحدة ضد السلطان الرسمي بدر بن محمد (المردوف) حتى تمكن السلطان عيسى من الاستقلال بحكم سيئون. انظر الجعيدي، السلطنة الكثيرية الأولى، ص١٧٨.

(٣) هو الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن (١٠٩٨ - ١١٣٠هـ/ ١٦٨٦ - ١٧١٧م) صاحب الدعوات الثلاث، لقب نفسه في البداية بـ(الناصر)، ثم (الهادي)، ثم (المهدي)، اشتغل خلال فترة حكمه الطويلة بمحاولات تثبيت الدولة القاسمية في مناطق اليمن الأعلى.

١١١١هـ/ ١٦٩٩م بإرسال وفد يحمل رسائل إلى حضرموت يطالب فيها سادة حضرموت وفضلاءها بالسمع والطاعة للإمام، وقد حظي الوفد بحسن الاستقبال والترحاب في حضرموت، ولكن دون العمل بالتعليمات التي كان يحملها[١].

ومما لا شك فيه أن الأئمة حاولوا استعادة نفوذهم الاسمي على حضرموت، كما أن الضعف والانقسام داخل البيت الكثيري جعل بعض سلاطين آل كثير يعمدون إلى زيادة عدد الجنود اليافعيين في جيوشهم حيث سعى كل منهم إلى تعزيز قواته، ولكن دون إدراك منهم لخطورة الخطوة التي أقدموا عليها ودون حساب للنتائج التي سوف تترتب عليها حيث ظهرت قوة جديدة في حضرموت وأخذت تنمو نمواً سريعاً في ظل غياب سلطة الدولة الكثيرية وبدأت هذه القوة اليافعية الجديدة تسيطر على مجريات الأحداث في حضرموت شيئاً فشيئاً.

ثالثاً: ازدياد النفوذ اليافعي في حضرموت وأثره عليها:

سبقت الإشارة إلى قيام سلاطين آل كثير بالاعتماد على الأفخاذ اليافعية للاستفادة منها في تعزيز نفوذهم بحضرموت وذلك بتجنيدهم في الجيش الكثيري؛ لأن قبيلة يافع مشهود لها بالشجاعة والاستبسال في ميادين القتال والحروب التي خاضتها ضد الإمامة الزيدية فضلاً عن ارتباطاتها التاريخية القديمة بحضرموت منذ استوطنتها وعقدت تحالفات ومعاهدات مع القبائل الحضرمية المجاورة للأماكن التي استوطنتها واندمجت اجتماعياً بها، ولذلك فإن طلب مجندين من يافع

(١) الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٧٧، ١٧٨.

إلى حضرموت سيلقى قبولاً من سكانها.

لم تقف العلاقات اليافعية بحضرموت عند هذه الحدود والروابط التاريخية وإنما تعدتها إلى الناحية الدينية التي تعتبر من أقوى الارتباطات في المجتمعات المختلفة، ومما يدلل على ذلك أنه في عام ١١١٣هـ/ ١٧٠١م جاء إلى حضرموت قادماً من بلاد يافع الشيخ عمر ابن صالح بن هرهرة بصحبة خمسين فرداً من أفراد قبيلة يافع كان الغرض الظاهر من ذلك هو زيارة منصب عينات الشيخ أبوبكر بن سالم الذي نصب عمر بن صالح بن هرهرة مصلحاً اجتماعياً ومرشداً دينياً لقبيلة يافع العليا قبل أن يتوفى الشيخ أبوبكر بن سالم في عام ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م[١].

وبحكم الروابط التاريخية والدينية لقبيلة يافع في حضرموت فإنه من الطبيعي أن تستجيب قبيلة يافع لنداءات الحضارم وإخوانهم من قبيلة يافع المستوطنين في حضرموت في صراعهم مع الإمامة الزيدية، ولا سيما إذا جاءت هذه النداءات من آل الشيخ أبي بكر بن سالم منصب عينات الذين تربطهم علاقات روحية حميمة بقبيلة يافع، وكان من أسباب استعانة الدولة الكثيرية بقبيلة يافع هو أن حضرموت كانت حينذاك واقعة تحت سيطرة الإمامة الزيدية التي قامت بفرض المذهب الزيدي على سكان حضرموت الذين يدينون بالمذهب السني الشافعي، ومن وجهة نظر الباحث لم يكن الصراع المذهبي هو الدافع الوحيد لقيام قبيلة يافع بتقديم العون والمساعدة لأهل حضرموت وإنقاذهم من

(١) باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، المرجع السابق، ص٢١٢، ٢١٣.

اضطهاد الإمامة الزيدية لهم، وإنما كانت لقبيلة يافع طموحات ومشاريع سياسية في حضرموت هدفها الاستيلاء على السلطة، وإقامة كيانات سياسية يافعية فيها، والاستفادة من ثرواتها وإيراداتها المالية.

وانطلاقاً من ذلك قام الشيخ علي بن أحمد بن سالم مندوب آل الشيخ أبي بكر بن سالم في عينات بحث قبيلة يافع في بلادها على القدوم إلى حضرموت؛ لإنقاذ سكانها الحضارم ويافع من الاضطهاد الذي يتعرضون له من قبل الإمامة الزيدية والسلطان عمر بن جعفر الكثيري[١].

كان من أسباب استجابة قبيلة يافع لنداء آل الشيخ أبي بكر بعينات تفاقم الصراعات داخل الأسرة الكثيرية، فعندما تفاقمت تلك الصراعات قام السلطان بدر بن محمد المردوف في أواخر عام ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م باستقدام ستة آلاف مقاتل من بلاد يافع إلى حضرموت، وعند وصولهم إلى وادي دوعن انضم إليهم الشيخ حسين بن مطهر العمودي وأخوه محمد ومعهما ثلاثمائة شخص من أتباعهم، كما وصل إلى عقبة الجحي بدوعن ألف مقاتل من آل العمودي والحالكة وآل باهبري وغيرهم، وكان غرض العمودي من وقوفه إلى جانب المقاتلين القادمين من بلاد يافع هو الحصول على بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها من قبل في وادي دوعن، بعد ذلك اتجهت القوة اليافعية بقيادة الأمير عمر بن صالح بن هرهرة والسلطان

(١) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص٩٦. بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص١١٨.

بدر المردوف إلى منطقة (بحران)[١] في طريقها إلى مدينة شبام[٢].

كان السلطان عمر بن جعفر الكثيري موجوداً في مدينة الشحر عندما وصلت إليه الأنباء بوصول القوة اليافعية إلى حضرموت فغادرها إلى سيئون حيث قام بحشد أربعة آلاف مقاتل من آل كثير والمجندين من الزيود، وسار بهم إلى منطقة (بحران).

وقبل أن تبدأ المعركة بينهما حصلت حرب نفسية عن طريق الرسائل المتبادلة بينهما فقد أرسل الأمير عمر بن صالح بن هرهرة خطاباً إلى السلطان عمر بن جعفر الكثيري يبلغه فيه بأن الغرض من قدومه إلى حضرموت ليس لمحاربة الدولة الكثيرية وإنما لتخليص حضرموت من وطأة النفوذ الزيدي، فرد عليه السلطان عمر بن جعفر الكثيري بأنه لن يسمح ليافع ولا لغيرهم بالتدخل في شؤون حضرموت، وأخبره بأنه سيأتي إلى (بحران) للقضاء على يافع، كما حوت رسالته أيضاً على بعض عبارات المبالغة والتحدي والاستفزاز والاستعداد للمواجهة[٣]، وبهذا الرد أغلق السلطان عمر بن جعفر الكثيري باب حل الخلاف بالطرق السلمية، بل وتضمن رده على ذلك

(١) بحران: موضع معروف بالكسر في وادي حضرموت، و هي أرض منبسطة لا توجد بها تلال أو صخور أو أشجار وتقع على مقربة من منطقة سدبة. السقاف: إدام القوت، المرجع السابق، ص٤٦٢.

(٢) البكري: صلاح عبدالقادر، في شرق اليمن، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، ١٩٥٥م، ص٩٦، ٩٧. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨١.

(٣) البكري: المرجع نفسه، ص٩٦، ٩٧.

بعض العبارات التي كانت بمثابة إعلان الحرب على القوة اليافعية القادمة إلى حضرموت.

ويتبين من ذلك أن السلطان عمر بن جعفر الكثيري كان يتوجس خيفة من كثرة أعداد وعدة هذه القوة العسكرية التي انضم إليها أعداؤه آل العمودي وغيرهم من الأفخاذ القبلية السيبانية في وادي دوعن.

ويرى الباحث أن تخوف السلطان الكثيري من القوة العسكرية اليافعية الجديدة كان في محله فقد كان السلطان عمر بن جعفر الكثيري يخشى أن تسيطر هذه القوة الجديدة على حضرموت وتستولي على السلطة فيها بعد القضاء على نفوذ الإمامة الزيدية فيها وهو ما حصل بعد ذلك بالفعل.

لم يتأخر الأمير عمر بن صالح بن هرهرة بالرد على تحديات واستفزازات السلطان عمر بن جعفر؛ بل جاء رده سريعاً ويحمل في طياته العديد من عبارات التهديد والوعيد بحسم المعركة بينهما يوم الغد الخميس في (بحران)، وجهز الأمير عمر بن هرهرة جيشه لخوض المعركة حيث قام بتقسيم قواته إلى ثلاث فرق عسكرية هجومية وتعيين قيادات عليها، أما الفرقة الرابعة فقد تكونت من آل العمودي.

وأما السلطان عمر بن جعفر الكثيري فقد قام بتجميع قواته وحشدها لمقاومة القوة اليافعية، وقد تكون جيش السلطان في الغالب من الشنافر[1] وآل تميم وأشراف الجوف بقيادة عمر بن علي بن بدر بن عبدالله الكثيري وبجانبه أحد عبيد الإمام ويدعى (ياقوت)، ونزل

(١) تحالف قبلي يضم آل كثير، وآل العامري، وآل الجابري، وآل باجري.

السلطان عمر بن جعفر على مقربة من جيشه ليرفع الروح المعنوية لجنوده[١].

في ١٠ محرم سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م وقعت المعركة بين الجيشين في (بحران) استخدمت فيها الأسلحة النارية، والخناجر، والسيوف[٢]، واستمرت حتى غروب الشمس من نفس اليوم، بعدها انسحبت قوات السلطان عمر بن جعفر من ساحة المعركة مخلفة وراءها عدداً كبيراً من القتلى[٣]والجرحى وكميات كبيرة من الأسلحة والذخائر غنمتها قوات السلطان بدر بن محمد المردوف والقوات اليافعية.

ثم واصلت القوات زحفها نحو مدينة شبام حيث استقبلها أهلها وآل الشيخ أبوبكر بن سالم الذين جاءوا لهذا الغرض من عينات، وكان من نتائج معركة (بحران) هو القضاء على نفوذ الإمامة الزيدية في حضرموت واختفاء آثارها فيها نهائياً[٤]، وبهذا تم استبدال النفوذ الزيدي بالنفوذ اليافعي الذي أخذ يتغلغل في الدولة الكثيرية حتى بسط سيطرته على حضرموت.

---

(١) البكري، في شرف اليمن، المرجع السابق، ص٩٧، ٩٨، السقاف: بضائع التابوت. ص٩٧، ٩٨. السقاف: بضائع التابوت، المرجع السابق، ج٢ ص١٣٣، ١٣٤.

(٢) بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص١٢٠. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨٢.

(٣) بلغ عدد القتلى في جيش السلطان عمر بن جعفر الكثيري حوالي مئتي قتيل تقريباً.

(٤) البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص٩٧.

رابعاً: تصدي السلطان عمر بن جعفر الكثيري وابنه للنفوذ اليافعي في حضرموت:

أدت معركة (بحران) إلى تنامي النفوذ اليافعي في حضرموت، وإضعاف نفوذ السلطان عمر بن جعفر الكثيري، الذي كان يتصدى للنفوذ اليافعي المتزايد في بلاده، ولكنه كان في البداية يلجأ أحياناً إلى التحالف مع القوى اليافعية المتنفذة في حضرموت عندما تقتضي المصلحة؛ لذلك فقد كان يستفيد منهم بتجنيدهم مقاتلين في جيشه عندما تنشب الصراعات داخل الأسرة الكثيرية التي كانت تقع تحت تأثير السادة العلويين المؤيدين للوجود اليافعي في حضرموت، بل ويفضلونه على الوجود الزيدي(١).

استخدم السلطان عمر بن جعفر الكثيري في التصدي للنفوذ اليافعي المتزايد في حضرموت أسلوب تأليب القبائل الحضرمية على الوجود اليافعي في بلادها، وقد نجح في ذلك إلى حد كبير عندما حرض عليهم قبيلة الحموم(٢) وبعض من المشايخ آل العمودي، ولم

---

(١) الناخبي: رحلة إلى يافع، المرجع السابق، ص٥٦. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨٥.

(٢) الحموم: تنسب إلى حمير بن سبأ، ومنازلهم في شرقي الشحر والمشقاص حتى البحر، وتنقسم إلى عدد من البيوت منها بيت علي ويسكنون العُليب وغيل بن يمين، ومن فرع آل حبريش في بيت علي يتم اختيار شيخ الحموم، كما تضم أيضاً بيت غراب الذين يقطنون في الديس الشرقية والحامي، وبيت عمر وبيت شنين ويسكنون الديس الشرقية، وبيت قرزات الذين يقطنون غيل بن يمين، كما ينضوي تحتها أيضاً بيت اليميني وبيت سعيد بالواسط، والعجيلي والجامحة وبيت ثَعْين بأودية المشقاص ما بين الريدة وقصيعر، وبيت الشرخة وهم من أتباع العلييي، وبيت السماسيح، وبيت زين، والباحسن. المقحفي: معجم =

يكتف بذلك بل قام أيضاً بشن الهجمات الخاطفة لانتزاع بعض المواقع المهمة التي كانت تسيطر عليها القوى اليافعية في حضرموت، ولإحكام قبضته عليها، وبهذين الأسلوبين استطاع السلطان عمر بن جعفر بالفعل الدخول إلى مدينة سيئون في رمضان عام ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م بعد انحياز قائد الحماية اليافعية فيها إلى جانبه، وربما تم ذلك بالاتفاق المسبق بينهما، ولا سيما أن السلطان بدر المردوف لم يلبِّ مطالبات يافع بزيادة مخصصاتهم الشهرية، واجه السلطان عمر بن جعفر بعد ذلك مشكلة الوفاء بالتزاماته المالية التي يدفعها لقبيلة الحموم الموالية له[1] .

وعندما جاءت إلى حضرموت في عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م أعداد جديدة وكبيرة من قبيلة يافع في إطار قدوم يافع إلى حضرموت نشب خلاف بين السلطان عمر بن جعفر الكثيري وبين هذه الأعداد اليافعية الجديدة القادمة إلى حضرموت بقصد الانخراط في صفوف الجيش الكثيري، وكان السلطان يعارض تجنيد كل هذه الأعداد في جيشه لعدم قدرته على تحمل نفقاتها؛ ولأن ذلك لا يتناسب مع الإمكانيات الاقتصادية للدولة الكثيرية، فضلاً عن أن هذا السلطان كان لا يرغب في زيادة أعداد المجندين من يافع في حضرموت، ولكن تم حل هذا

= البلدان والقبائل اليمنية، المرجع السابق، ص٥٠٨. الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، المرجع السابق، ص٣٥٦، ٣٥٧.

(١) الكندي: سالم بن محمد بن سالم بن حميد، مخطوط تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ج ١، صنعاء، ٢٠٠٣ م، ص٢٦٦ - ٢٦٨. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨٤.

الخلاف بتدخل السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم الذين كانوا يحرصون دائماً على إرضاء الطرفين، وقد نص الحل على عودة جزء من القوة اليافعية الجديدة القادمة إلى حضرموت إلى بلادها، مع التزام السلطان عمر بن جعفر بتحمل تكاليف رحلة العودة، أما بقية القوة فيتم تسجيلهم في الجيش الكثيري على أن يتم تفريقهم في مناطق مختلفة من حضرموت، مع امتناعهم عن القيام بأعمال السلب والنهب فيها[١].

ومما سبق يتضح أن الوجود اليافعي في حضرموت قد تعزز فيها بفعل العوامل الآتية:

١- الصراعات والانقسامات الأسرية داخل الدولة الكثيرية.
٢- الصراعات السياسية في حضرموت.
٣- تأييد السادة (العلويين) من آل الشيخ أبي بكر بن سالم في عينات للوجود اليافعي في حضرموت .
٤- تميز قبيلة يافع بالشجاعة والجلد والاستبسال، والقدرة على القتال في مختلف الظروف والأوضاع وعلى توحيد مواقفهم في التصدي للأخطار التي تواجههم .
٥- تدخلات الإمامة الزيدية المباشرة في شؤون الدولة الكثيرية، ومحاولاتهم المستمرة لإحكام سيطرتهم على حضرموت[٢] .

وخوفاً من النفوذ اليافعي المتنامي في حضرموت طلب السلطان

(١) الكندي: العدة المفيدة، المصدر السابق، ص٢٧٧، ٢٧٨. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص ١٨٤..
(٢) الجعيدي: المرجع نفسه، ص١٨٥.

عمر بن جعفر الكثيري في عام (١١١٨هـ/ ١٧٠٦م) من الإمام المهدي في صنعاء إسناده بعدد من الجنود يحقق بهم التوازن العسكري في حضرموت مع القوة اليافعية، ويقلص بهم نفوذها المتنامي، واستجاب الإمام المهدي لذلك الطلب، وقام بإرسال قوة عسكرية إلى حضرموت تتكون من ثلاثمائة جندي من قبائل حاشد وبكيل، ونحو مائة من عرب الشام[١]، ومائة أخرى من توابع الإمام، ومائة وخمسين فرداً من قبائل أخرى، وكان معظم أفراد هذه القوة مزودين بالبنادق[٢].

لقد تمكنت هذه القوة التي بعثها الإمام المهدي من دخول مدينة الشحر التي كان يحكمها آل بن عياش من يافع[٣] في جمادى الأولى عام (١١١٨هـ/ ١٧٠٦م) بدون قتال وانضم إليها الجنود اليافعيون الموجودون في الشحر[٤] لعدم مقدرتهم على الوقوف في وجه القوة الإمامية، وكذلك بسبب الدعاية التي سبقت وصول القوات الإمامية للشحر فخلقت حالة من الذعر والخوف والترقب[٥] إلا أن الخلافات والحساسيات برزت بعد ذلك بين الفريقين، ومارست يافع عمليات السلب والنهب للضغط على السلطان عمر بن جعفر لإخراج قوات الإمامة الزيدية من حضرموت بعد نشوب التنافر بين القوتين والتنافس

(١) عرب الشام: تعني الجهات الشمالية لأهل صنعاء ونواحيها صعدة وما إليها.
(٢) الكندي: العدة المفيدة، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٧. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨٥.
(٣) السقاف: إدام القوت، المصدر السابق، ص١٧٢.
(٤) البكري: صلاح عبدالقادر، تاريخ حضرموت السياسي ج١، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٠٩. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨٦.
(٥) البكري: المرجع نفسه، ص١٠٩.

فيما بينها للاستيلاء على حضرموت.

وبوفاة السلطان بدر بن محمد المردوف في عام (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) خلفه في حكم الدولة الكثيرية عمر بن جعفر الكثيري الذي أظهر العداء السافر للوجود اليافعي في حضرموت[١] وذلك بعد قيام بعض القوى اليافعية بتقوية نفوذهم من خلال استيلائهم على بعض الحصون المهمة في حضرموت، ويرى الباحث أن السبب في ذلك يعود إلى إحساس هذه القوى بالخوف من القوى القبلية المحلية وقوات الإمامة الزيدية الموجودة في حضرموت، وبذلك تردت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في حضرموت وانتشرت الفوضى فيها، وأخذت القوى اليافعية تنافس السلطان عمر بن جعفر الكثيري على السلطة والنفوذ في حضرموت، ولمواجهة هذه الوضعية رأى السلطان عمر بن جعفر أنه بحاجة إلى قوة عسكرية أخرى تسانده في صراعه مع القوة اليافعية في حضرموت، ولاستعادة السلطان مركزه السياسي عاد السلطان مرة أخرى إلى استخدام سياسة التوازنات السياسية داخل الدولة الكثيرية، ولتحقيق ذلك استعان في عام (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م) بقوات من قبيلتي العوالق والواحدي بلغ تعدادها حوالي ثمانمائة مقاتل، وجندهم كقوة عسكرية جديدة في جيشه[٢]، وكان من أسباب اختيار المجندين من هاتين القبيلتين أنهما كانتا

(١) باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، المرجع السابق، ص٢١٣. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨٧.
بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص١٣٠.
(٢) بن هاشم: المرجع نفسه، ص١٣٠.

قادرتين على استخدام السلاح الناري، وأن بلادهم قريبة بل ومجاورة لحضرموت، فضلاً عن أنهم لن يشكلوا أي خطر على الدولة الكثيرية لقلة عددهم ناهيك عن أنها لا يوجد لها أنصار في حضرموت وهو ما سيسهل للدولة الكثيرية التخلص منها إذا ما أرادت ذلك وشعرت بالخطر منها.

وبعد وصول القوات العولقية والواحدية إلى منطقة هينن في عام (١١٢٥هـ/ ١٧١٣م) أدرك السادة العلويون مخاطر قدوم هذه القوة العسكرية إلى حضرموت لذلك توقفت هذه القوة في هينن بتدخل السادة العلويين في الأمر لإنهاء الصراع الذي كان قائماً بين السلطان عمر بن جعفر الكثيري والقوى اليافعية المتنفذة في حضرموت، وكان السادة العلويون ينطلقون في ذلك من حرصهم على نفوذهم في حضرموت وخوفهم من تدخلات القوة العولقية والواحدية في الشؤون الداخلية لحضرموت والسيطرة عليها، وانطلاقاً من ذلك تمكن السيد حسين بن عمر العطاس من تقريب وجهات النظر بين الجانبين وإقناعهم بتوقيع صلح ينهي الخلاف بينهما وقد نص على ما يأتي:

١- تبعية اليافعيين في حضرموت للسلطنة الكثيرية.
٢- تقليل رواتب الجنود اليافعيين.
٣- عودة كل الأحزاب (القوى العسكرية) إلى أراضيها.[١]

لقد وافق كلا الطرفين على ذلك ولكل طرف منهما أسبابه التي جعلته يقبل بنود هذا الصلح، فقد قبل السلطان عمر بن جعفر الكثيري

(١) بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص١٣٠.

بهذا الصلح استجابة لنصائح السادة العلويين، فضلاً عن أن هذا الصلح يقلل من نفقات الجنود اليافعيين ويخفف من الأعباء المالية على الدولة الكثيرية[١]، ولربما أن السلطان عمر بن جعفر لم يكن مستعداً في تلك الفترة لهذه المواجهة العسكرية، وأنه أدرك بأن القوة العولقية والواحدية لا يمكنها إلحاق الهزيمة بالقوة اليافعية الموجودة في حضرموت، ولذلك آثر قبول الصلح على المواجهة والحرب.

أما القوة اليافعية العسكرية في حضرموت فقد قبلت بذلك الصلح للأسباب الآتية:

١- عدم وجود كيان سياسي يافعي معين في حضرموت الداخل، وإنما كان انتماءات المجندين فيها إلى رؤسائهم القبليين.
٢- إدراك يافع أن السلطان عمر بن جعفر لا يمتلك القوة الكافية لفرض بنود الصلح[٢] لاعتماده في جيشه على يافع أو على دعم القبائل من خارج حضرموت ويكون وجودها في حضرموت مؤقتاً .
٣- أن المجندين من يافع كانوا يشكلون في تلك الفترة جزءاً كبيراً من قوات الدولة الكثيرية .
٤- تخوف القوى اليافعية في حضرموت من سيطرة القوى العولقية والواحدية على حضرموت.
٥- أن القوة العسكرية اليافعية لا تمتلك الإمكانيات الكافية لمواجهة السلطان عمر بن جعفر الكثيري وحلفائه من العوالق والواحدي.

(١) الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٨٨.
(٢) المرجع نفسه، ص١٨٨.

بعد توقيع الصلح هدأت الأوضاع مؤقتاً في حضرموت، ولكن أخذ كل طرف منهما يعمل على تعزيز نفوذه بالسيطرة على الحصون والمواقع المهمة في حضرموت، وعندما ضاق السلطان عمر بن جعفر الكثيري من ذلك وشعر بالخطر اليافعي طلب في عام (١١٢٩هـ/ ١٧١٦م) مرة أخرى من الدولة المركزية في صنعاء التي كانت ناقمة على قبيلة يافع مساعدته بإرسال قوات عسكرية إلى حضرموت لتدعيم سلطته وسلطة الدولة المركزية فيها، وعند وصول هذه القوات إلى حضرموت[١] استولت على مدينة الشحر[٢]، ثم توجهت بعد ذلك إلى حضرموت الداخل وعندما وصلوا إلى عقبة وادي العين طلب منهم السلطان عمر بن جعفر الانتظار فيها، ولكنهم لم يستجيبوا لذلك فانحدروا إلى وادي العين مدفوعين بنشوة النصر الذي حققوه لاستيلائهم على مدينة الشحر، ولكن هذه القوة العسكرية تعرضت للإبادة عن بكرة أبيها على أيدي قبيلة نهد التي اتحدت ضدها وأحاطت بها من كل جانب وقد تألم السلطان عمر بن جعفر الكثيري لما حدث واعتذر للإمام الزيدي طالباً منه العفو والمسامحة، وكان من

(١) ذكر صلاح عبدالقادر البكري في تاريخ حضرموت السياسي أن هذه القوة العسكرية تكونت من أربعمائة مقاتل من أبطال دهم، وكان عليهم السلطان عمر ابن جعفر.

(٢) اتجهت الحملة كما يرى الباحث عن طريق البحر إلى مدينة الشحر مباشرة، ثم نزلت إلى حضرموت الداخل، ولعل اتجاهها مباشرة لمدينة الشحر يعود إلى وجود قوات يافعية فيها، كما أن الشحر تعتبر منفذ حضرموت البحري الرئيسي على الخارج وهو من أملاك الدولة الكثيرية حيث طردت بعض الأفخاذ اليافعية منها السلطان عمر بن جعفر الكثيري في عام ١١١٨هـ.

المتوقع أن يرسل الإمام جيشاً إلى حضرموت للانتقام مما حصل لقواته فيها إلا أنه لم يفعل ذلك؛ لأنه كان في ذلك الوقت مشغولاً بالفتن الداخلية في بلاد اليمن[١].

وبالرغم من ذلك استمر السلطان عمر بن جعفر في سياسته الرافضة لتنامي النفوذ اليافعي في حضرموت، وقام بمحاولات عديدة لتقليصه، منها قيامه في شهر ربيع الأول سنة (١١٣٠هـ/ ١٧١٧م) بمحاصرة مدينة تريم والحصون اليافعية فيها حيث تمكن من السيطرة على بعض الديار اليافعية وصادر ممتلكات أصحابها إلا أنه فشل في إرغام المحاصرين في الحصون اليافعية على الاستسلام، ولما اشتدت الضائقة على الناس وعلى المحاصرين في تريم وفي الحصون اليافعية بل وعلى السلطان عمر بن جعفر نفسه طلب من السادة العلويين التوسط في ذلك حيث أثمرت تلك الوساطة على فك ذلك الحصار وعودة الأمور إلى ما كانت عليه من قبل، وكانت هذه آخر المحاولات التي قام بها السلطان عمر بن جعفر لتقليص النفوذ اليافعي في حضرموت والذي أخذ يتعزز بشكل أكبر مما كان عليه في السابق مؤثراً بذلك على الدولة الكثيرية تأثيراً كبيراً حتى أنه خلق لدى سكان حضرموت قناعات بصعوبة التخلص من الوجود اليافعي في حضرموت[٢].

ظل التغلغل اليافعي في حضرموت مستمراً بعد أن باءت كل

(١) البكري: تاريخ حضرموت السياسي، المرجع السابق، ج١، ص١١٠.
(٢) ابن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص١٣١. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٩٠.

المحاولات التي بذلها السلطان عمر بن جعفر لتقليصه بالفشل أمام صمود القوى اليافعية وتمسكها بحق البقاء في حضرموت، وتحقيق طموحاتها السياسية المتمثلة في السيطرة على السلطة السياسية في حضرموت، وإقامة كيانات يافعية فيها.

بعد ازدياد النفوذ اليافعي في حضرموت بدأ نفوذ الدولة الكثيرية يتقلص بخطى سريعة، وبدأ مع ذلك العدّ التنازلي لها، وبعد وفاة السلطان عمر بن جعفر خلفه أخوه علي بن جعفر إلا أنه لم يكن كسلفه السلطان عمر، ولم تذكر له أي محاولات لتقليص النفوذ اليافعي في حضرموت، واستمر الحال من تغلغل للنفوذ اليافعي في الدولة الكثيرية إلى أن تولى السلطان جعفر بن عمر[١] الدولة الكثيرية حيث اتبع سياسة أبيه في تقليص النفوذ اليافعي في حضرموت محاولاً بذلك استعادة مجد الدولة الكثيرية من يافع، ولهذا السبب خاض في عام (١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م) معركة (الغطيل) والتي انهزم فيها[٢]، وكانت هذه آخر محاولة بذلها سلاطين الدولة الكثيرية لتقليص النفوذ اليافعي في

(١) السلطان جعفر بن عمر بن علي بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق تولى الحكم بعد عمه علي بن جعفر وتميز بالعدل، ولم تشر المراجع والمصادر التي وقفنا عليها إلى تاريخ توليه الحكم مثل غيره من سلاطين الدولة الكثيرية وخاصة بعد السلطان محمد (المردوف) (١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م) حيث يبدو أن أمر الدولة الكثيرية خرج عن نطاق التعاقب الفعلي للسلاطين إلى جهود فردية لناشطين من الأسرة الحاكمة.

(٢) الكثيري: خالد حسين عمر بن بدر، آل كثير أصولهم وفروعهم، سيئون، ٢٠٠٨م، ص٨٤. البكري: حضرموت وعدن، المرجع السابق، ص٩٩. بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، المرجع السابق، ص١٣٨، ١٣٩. الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٩.

حضرموت، وقد مثلت هذه المعركة من وجهة نظر الباحث البداية الحقيقية لأُفول نجم الدولة الكثيرية من الوجود واكتفائها بالسيطرة على بعض المدن والقرى والحصون المتناثرة في حضرموت.

خامساً: سيطرة الأفخاذ اليافعية على حضرموت:

واجهت الدولة الكثيرية العديد من المتاعب والصعاب بعد موقعة (الغطيل)؛ لأنها فقدت الكثير من المواقع التي كانت تسيطر عليها في السابق، وتسببت في ترسيخ أقدام القوى اليافعية في حضرموت، كما يعود ذلك إلى الحروب العديدة التي خاضتها في مراحل مختلفة والتي استنزفت مواردها البشرية والاقتصادية، وكان للصراعات داخل الأسرة الكثيرية دور فعّال في إخفاقها، وفي لجوء حكامها إلى الاعتماد على القوى الخارجية لتحقيق التوازنات العسكرية في الدولة الكثيرية عن طريق الاستعانة تارة بالإمامة الزيدية في صنعاء وأخرى بقبيلة يافع وثالثة بقوات عولقية وواحدية من دون إدراك لمخاطر هذه السياسية على الدولة الكثيرية، وقد ترتب عن ذلك فيما بعد وقوع حضرموت كلها تحت سيطرة الأفخاذ اليافعية التي أصبحت تتحكم في إدارة شؤون البلاد.

كان من نتائج تلك السياسة الخاطئة انحصار الصراع في حضرموت بين الدولة الكثيرية والأفخاذ اليافعية ولا سيما بعد انشغال دولة الأئمة الزيدية في صنعاء بصراعاتها الداخلية التي سلبتها القدرة على التدخل في شؤون حضرموت منذ أن تم إبادة القوة الإمامية من قِبَل قبيلة نهد بعد انحدارها من عقبة وادي العين سنة (١١٢٩هـ/ ١٧١٦م).

وكان من نتائج هذه الصراعات أنها أدت إلى تجزئة حضرموت سياسياً وجغرافياً، فبعد أن كانت تشكل دولة واحدة هي الدولة الكثيرية التي امتد نفوذها إلى ظفار في عمان شرقاً، وإلى شبوة غرباً تقسمت بعد ذلك إلى كيانات سياسية عديدة عرفت باسم (حكومات الطوائف القبلية)[١]، وحصلت عمليات سلب ونهب، وارتفعت أسعار المواد الغذائية وشحت في كثير من مناطق حضرموت[٢].

وبانتهاء الدولة الكثيرية في القرن الثاني عشر الهجري الموافق القرن الثامن عشر للميلاد سيطرت حكومات الطوائف اليافعية على داخل وساحل حضرموت، ومن أهم هذه الطوائف التي سيطرت على حضرموت:

١- فخذ آل الضبي، واستأثروا بحكم مدينة سيئون.
٢- آل النقيب، واستولوا على تريس .
٣- الموسطة، استولوا على الحكم في مدينة شبام .
٤- بنو بكر، وحكموا منطقة مريمة .
٥- آل اليزيدي، استأثروا بحكم الهجرين .
٦- مدينة تريم، كانت تنازع السلطة فيها ثلاثة أفخاذ يافعية وهي آل غرامة في حارتي المجف والسوق، وآل عبدالقادر بالنويدرة، وآل همام بالخليف[٣] .

---

(١) الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٩٢.
(٢) مكاتبات: طاهر بن الحسين، مخطوط رقم (١٨٩٢)، مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، ص١٢١، ١٥٥.
(٣) الجعيدي: السلطنة الكثيرية الأولى، المرجع السابق، ص١٩١. باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف، المرجع السابق، ج٢، ص٢١٥.

أما في ساحل حضرموت فقد سيطرت كل حامية يافعية متمركزة في الساحل على السلطة في المكان الذي كانت تتمركز فيه وانفردت بالحكم، وقد عرفت تلك الحاميات اليافعية (بالمكاتب السبعة) وهي:

١- مكتب آل النشادي في قرية عرف إحدى قرى مدينة الشحر.
٢- مكتب آل البطاطي في حارة الرملة بمدينة الشحر .
٣- مكتب ابن عاطف جابر في حارة الجزيرة بمدينة الشحر .
٤- مكتب ابن معوضة في حارة الخور في مدينة الشحر .
٥- مكتب آل الشيخ علي بن هرهرة في قرية تبالة .
٦- مكتب آل بريك في حصن خرد وفي القسم الشرقي من مدينة الشحر المعروف بـ(رباط بن جوبان) .
٧- مكتب آل كساد في قريتي الديس والحامي[١].

واستطاعت بعض هذه الحاميات أن تؤسس لها إمارات ودويلات، وتمكنت من القضاء على نفوذ الدولة الكثيرية في المناطق التي تتواجد فيها هذه المكاتب مثل إمارة آل بن بريك في مدينة الشحر، وإمارة آل الكسادي في مدينة المكلا وبروم والحامي والديس الشرقية.

(١) بامطرف: محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا ٢٠٠١م، ص٨٩.